مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 06 (عدد خاص) 2022 ص ص 74-92

# الصحافة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين نضال أمة في وجه المستعمر الفرنسي

# The reformist press of the Association of Algerian Muslim Scholars is a nation's struggle against the French colonizer

ليندة صيمود[1]* دهماني سهيلة [2]

[1] كلية علوم الإعلام والاتصال جامعة الجزائر03، (الجزائر)

البريد الالكتروني: Lynda.simoud@yahoo.fr

[2] جامعة عباس لغرور خنشلة، (الجزائر)

البريد الالكتروني: souhailadehmani@gmail.com

| تاريخ الإيداع | تاريخ القبول | تاريخ النشر |
|---|---|---|
| 2022/01/28 | 2022/02/13 | 2022/04/16 |

**الملخص**: إن المتفحص لتراث جمعية العلماء المسلمين يدرك جليا أن نشاطاتها كانت تحمل في طياتها صبغة إعلامية هادفة، لها بعد تربوي وإصلاحي سواء ما تعلق بالتربية والتعليم والتدريس، أو ما اندرج في الوعظ والإرشاد، أو ما اتصل بالدعوة والتذكير والإعداد، أو ما تم نشره في الصحف قصد تبليغ الرسالة وإقامة تواصل مثمر جاد.

فبالرغم من سياسة الإقصاء التي تعرَّضت لها الجمعية والتضييق على نشاطاتها، إلا أنها أصدرت صحفاً عدة تعبر عنها مثل: "السنة النبوية"، "الشريعة المحمدية"، "الصراط السوي"،" البصائر"، "المنتقد" و"الشهاب" وغيرها الكثير.

وما إن قام دعاة وعلماء الإصلاح في الجزائر بحملتهم الإصلاحية الشاملة مدة من الزمن، حتى تنبهوا إلى الدور الخطير والمهم الذي يمكن أن تلعبه الصحافة في الخروج بالدعوة الإصلاحية التي شرعوا فيها من حدود المدن التي كانوا يمارسون فيها دعوتهم إلى مستوى جمهور الوطن الجزائري كله، اين وقفت في وجه المستعمر وكانت تخاطب عقول القراء والشعب بأكمله لأهمية التحرر من المستعمر برفعها شعار "أن المستعمر والاستعمار ليس قدرا محتوما علينا وإنما يمكن تحديه".

* **المؤلف المرسل**

وتهدف هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على الدور الهام الذي لعبته الصحافة في تلك الفترة الحساسة من أجل نقل الرسالة والدعوة الإصلاحية التربوية والاجتماعية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سعيا منها في النهوض بقيم المجتمع الجزائري وتحريره من السيطرة الاستعمارية الفرنسية مبرزين في ذلك نشأة وظهور الصحافة الإصلاحية في الجزائر وأهم الصحف الإصلاحية الرائدة التي ساهمت بطرحها لمختلف القضايا والموضوعات الاجتماعية، الثقافية، السياسية والدينية التي تهم المجتمع الجزائري بجميع أطيافه وشرائحه.

***الكلمات المفتاحية:*** *الصحافة الإصلاحية؛ القضايا الإصلاحية التربوية والاجتماعية؛ المستعمر الفرنسي؛ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ قيم المجتمع الجزائري.*

**Abstract:** The examiner of the heritage of the Association of Muslim Scholars is clearly aware that its activities carried with it a purposeful media character, with an educational and reform dimension, whether it relates to education, education and teaching, or what was included in preaching and guidance, or what related to advocacy, reminders and preparation, or what was published in the newspapers in order to communicate the message and establish a serious fruitful communication.

Despite its policy of exclusion and restrictions on its activities, it has published several newspapers expressing it, such as the' Prophet's Sunnah, the Muhammadan Sharia, the "Sarat al-Suwai", the insights, the "critic", the Shihab, and many others.

As soon as the advocates and scholars of reform in Algeria carried out their comprehensive reform campaign for a period of time, they were alerted to the dangerous and important role that the press could play in coming up with the reform call they had embarked on from the borders of the cities where they were practicing their call to the level of the entire Algerian nation, where they stood up to the colonizer and addressed the minds of readers and the entire people to the importance of liberation from the colonizer by raising the slogan that 'colonialism and colonialism are not inevitable to us but can be challenged'

This research paper aims to highlight the important role played by the press in this sensitive period in order to convey the message and the educational and social reform call of the Association of Algerian Muslim Scholars in an effort to promote the values of Algerian society and free it from French colonial control, highlighting the emergence and emergence of the reformist press in Algeria and the most important leading reformist newspapers that contributed to its presentation of various social, cultural, political and religious issues of interest to Algerian society in all its spectrums and segments.

***Keywords:*** *Reformist Journalism; Educational and Social Reform Issues; French Colonizer; Association of Algerian Muslim Scholars; Values of Algerian Society.*

## مقدمة

إن الجزائر في فترة الاحتلال الفرنسي كانت ستندثر معالمها لولا ظهور نخبة من المصلحين وعلى رأسهم الإمام عبد الحميد ابن باديس ونائبه الشيخ محمد البشير

الإبراهيمي، وقيامهم بعملية شاقة وعسيرة تمثلت في إعادة بناء الفرد الجزائري وتشكيليه ثقافيا وبعثه من جديد، مستلهمة قيم الكتاب والسنة الشريفة في التعامل معه وتحديد مواطن الخلل فيه، وذلك في إطار عمل جماعي مؤسساتي متكامل تجسد في ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الحركة الوطنية الإصلاحية التي أولت أهمية بالغة للخطاب الإصلاحي التوعوي، بحيث لم تستخدمه كلفظ ولكن استخدمته كمضمون، مما مكنها من النهوض بالمجتمع الجزائري ورفع الجهل والتخلف عنه وتخليصه من الخرافات والبدع، والسير به قدما نحو العلم والتحرر وبالتالي الاستقلال.

وقد واجه خطابها الإصلاحي تحديات كبيرة، تمثلت في الاستعمار الغاشم الذي مكث أكثر من مائة وثلاثين سنة سعى خلالها إلى فرنسة الجزائر فرنسة أبدية، وأتى على خيرات وثروات البلاد، وفي الطرق الصوفية المنحرفة الموالية للإدارة الاستدمارية التي عملت على نشر أفكار منافية للإسلام.

ومن هنا تتجلى المكانة الرفيعة التي يحتلها الخطاب الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المجتمع الجزائري المسلم، ومدى مساهمته الفعالة في بسط سلطان شريعة الإسلام واللغة العربية في الوسط الاجتماعي.

إن الحركة الإصلاحية الباديسية كانت في الواقع هي الدرع الذي وقى الجزائر من خطر الاندماج والذوبان في فرنسا، رغم محاولاتها العنيدة من أجل فرض الفرنسية والتنصير والاندماج والتجنيس على الجزائريين، وكانت بمثابة الأب الشرعي للثورة الجزائرية التي قامت بها في عام 1954م، وحققت الحرية والاستقلال للجزائر في عام 1962 في نطاق حضارتها الإسلامية العربية.

ولما كان هدف العلماء المصلحين في الجزائر هو إصلاح المجتمع من كل جوانبه، فقد اتخذوا من الصحافة وسيلة أساسية مند 1919 لنشر أفكارهم، وعندما تأسست جمعية العلماء سنة 1931 جعلت منها منبرا إعلاميا لنشر أفكارها ومبادئها ودعواتها وأهدافها

بين الجزائريين، وسلاحا خطيرا تستخدمه ضد خصومها من الإدارة الاستعمارية، فقد كان ظهور الصحافة الإصلاحية ضرورة حتمية لما آل إليه المجتمع الجزائري، وكان لحركة ابن باديس الإصلاحية عبئ ثقيل في إصلاح الأمة الجزائرية، وأن تواجه خصومها بكل الوسائل المتاحة التي تمكنها من تحقيق أهدافها الإصلاحية ما بين مستعمر صليبي حقود، وطرقي متعصب، وشباب متفرنج منحل، وأذناب من الموظفين الدينيين، وأن تجابه أوضاعا مزرية تعيشها الأمة في جميع جوانب حياتها.

وعليه تم التوصل إلى طرح التساؤل الرئيس التالي:

**هل كان لصحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دور في عملية تربية وإصلاح المجتمع الجزائري وغرس قيم مقاومة المحتل الفرنسي بين أفراده؟**

واندرج تحت هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- متى ظهرت الصحافة الإصلاحية في الجزائر؟
- هل عملت صحافة جمعية العلماء المسلمين على تحقيق أهدافها الإصلاحية ضد المستعمر الفرنسي؟
- ما أنواع صحافة التيار الإصلاحي في الجزائر؟
- ما طبيعة المضامين والمواضيع التي تناولتها صحافة جمعية ابن باديس الإمام الصحفي؟

## 1. مفهوم الحركة الإصلاحية في الجزائر:

الحركة الإصلاحية هي تعبير عن الحاجات الأساسية للمجتمع، وهي تعد بمثابة مشروع مجتمعي يهدف إلى إحياء الحضارة، والجزائر كغيرها من بعض الشعوب العربية الإسلامية عرفت حركة إصلاحية اجتماعية دينية كتطور اجتماعي تاريخي من مرحلة الركود والجمود الفكري ومختلف مظاهر التخلف، إلى مرحلة الوعي والنهوض الفكري والثقافي والتغيير إلى واقع أفضل.

وتعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أهم تنظيم إصلاحي في الجزائر، إذ عملت على إصلاح وتوعية الأفراد من البدع والخرافات الضالة التي تفشت في المجتمع بفعل السياسة الاستعمارية الفرنسية من جهة وانحرافات بعض الطرق الصوفية من جهة أخرى. (سعد الله، 1986، ص 88)

**2. ظهور الصحافة الإصلاحية في الجزائر:**

عرفت الجزائر الصحافة المكتوبة متأخرة رغم مرور حوالي قرنين عن ظهورها في أوروبا، وكانت نشأتها فرنسية، أي مع دخول المستعمر الفرنسي إلى أرض الجزائر، وذلك من خلال الصحف التي كانت تابعة في سياستها العامة للصحافة الفرنسية باتجاهاتها المختلفة، وأهم ما ميزها هو اهتمامها الكبير بمصالح الأوروبيين في الجزائر، وإهمالها لمصالح الجزائريين، فهي أجنبية في لغتها وتحريرها واتجاهها العام، أي أن موضوع الصحافة كوسيلة إعلامية لم يكن مطروحا قبل 1830. (الخطيب، 1985، ص 71)

ويرجع تأخر ظهور الصحافة الوطنية في الجزائر إلى السياسة الاستعمارية التي كانت تهدف إلى محو الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية، وذلك بالقضاء على كل محاولة من شأنها ايقاظ الروح الوطنية. (تركي، 1970، ص 91) أين كانت تعيش الجزائر أوضاع متدنية على جميع الأصعدة، فعندما دخل المستعمر الفرنسي عام 1830 بدأ بتطبيق سياسة تهدف إلى القضاء على اللغة العربية والإسلام باستعمال مختلف الأساليب، وذلك لتحقيق فكرة الجزائر الفرنسية، ولم يكن ذلك إلا بفرض حصار على المؤسسات التعليمية وكل منابع التعليم باللغة العربية، وفصل الشعب الجزائري فصلا تاما عن العالمين العربي والإسلامي. (بوحوش، 1997، ص198)

وهكذا وصل الفكر والثقافة في الجزائر الى مرحلة الركود كنتيجة للسياسة الاستعمارية فتراجعت دور مراكز التعليم ومس الجهل معظم شرائح المجتمع.

ومع مطلع القرن العشرين عرفت الجزائر تحولا تاريخيا في مسار الحركة الوطنية الجزائرية، ونضالها ضد الاحتلال الفرنسي، حيث شهد هذا التحول إعادة بعث التراث الفكري، والحضاري للأمة الإسلامية كنتيجة لظروف سياسية واجتماعية وثقافية أدت إلى التحول من مرحلة الكفاح المسلح الذي ساد القرن 19 إلى المقاومة الفكرية والسياسية.

فشهدت الجزائر في هذه الفترة دعوة للنهوض بالإحياء الثقافي، فظهرت النوادي والجمعيات الوطنية الجزائرية، ذات الأهداف الاجتماعية والثقافية والسياسية، وكانت هذه المراكز تؤذي وظيفة المدرسة، التربية والتوجيه، كما أدت بعض الطرق الصوفية دورا مهما في تكوين النشء بثقافة عربية إسلامية، ولعل من أبرزها الجمعية الراشدية، الجمعية التوفيقية، النوادي الثقافية، والطرق الصوفية. (سعد الله، 1986، ص 115)

كان لهذا الواقع الذي فرضته السياسة الاستعمارية الأثر الايجابي على الجزائريين الذين أصبحوا أكثر وعيا وتطلعا لمعرفة أحوال الأمة الإسلامية، وما يحدث فيها من تطورات سياسية، اجتماعية، ثقافية، علمية، فكرية، ودينية، وكانت وسيلة الجزائريين لمعرفة ذلك هي الجرائد والمجلات العربية التي كانت تتسرب إلى الجزائر من بعض البلدان العربية، إما عن طريق تونس أو المغرب الأقصى، وإما عن طريق أوروبا.

لقد أدرك الجزائريون من ذوي الثقافة العربية الإسلامية أن الميدان الإعلامي يعتبر وسيلة ذا فعالية، مستفيدين من القوانين الفرنسية في مجال الصحافة، وهكذا عرفت الجزائر قبل الحرب العالمية الأولى نشاطا صحفيا، فتعددت أسماء الصحف وتعددت اتجاهاتها ومواضيعها، سواء الصادرة باللغة العربية أو الفرنسية، إلا أن اهتمامات هذه الجرائد كان يغلب عليها الطابع الاقتصادي، فكانت تدعو الأهالي إلى العناية بالزراعة والصناعة والتجارة، حتى لا يبقى المجال مفتوحا للمعمرين فقط، أما المجلات الدينية والثقافية فكانت ثانوية، أما الصحف التي اهتمت بالمجال السياسي فكانت مؤيدة للسياسية الفرنسية، ورغم ذلك تعرضت للمضايقة والتعطيل. (كرليل، 2020، ص 299).

فمنذ 1919 برز في الساحة الوطنية شخصيات جزائرية متشبعة بأفكار الإصلاح المستمدة من القرآن والسنة، ونادت باسم القومية العربية الإسلامية فعملت على نبذ فكرة الدعوة باسم شخصيات، أو قبائل أو جماعات معينة، وازداد هذا النشاط الجديد بفضل الصحافة الإسلامية باللغة العربية التي باشرت رسالتها بعد الحرب العالمية الأولى، كما كانت لأفكار الحرية، وسيادة الشعوب، وحقوق الإنسان التي رافقت السلام العالمي آنذاك دورا في تحريك مشاعر الجزائريين كغيرهم من الشعوب المضطهدة في الحصول على الحقوق التي كان يتمتع بها الأوروبيين في الجزائر، فزاد نشاط الصحافة الأهلية التي ساهمت في بعث النهضة الفكرية في الجزائر. (الزبير، 1985، ص ص 94-95).

لقد ظهر في فترة ما بين الحربين نشاط صحفي لم تشهده الجزائر من قبل، فتعددت اتجاهات الصحف الوطنية، فكانت الحزبية والمستقلة، الطرقية والإصلاحية، ومن المؤكد أن الصحافة كانت وسيلة مؤثرة وظفتها الجمعيات الثقافية، الدينية والسياسية لنشر مبادئها وأهدافها وأفكارها، وتوسيع قاعدتها الشعبية والمطالبة بالحقوق.

ولعل أبرز الاتجاهات التي ظهرت في فترة ما بين الحربين بنشاطها الصحفي، الاتجاه الإصلاحي المتمثل في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

### 3. دور صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عملية تربية وإصلاح المجتمع الجزائري:

لما كان هدف العلماء المصلحين في الجزائر هو إصلاح المجتمع من كل جوانبه اتخذوا من الصحافة وسيلة أساسية مند 1919 لنشر أفكارهم، وعندما تأسست جمعية العلماء سنة 1931 جعلت منها منبرا إعلاميا لنشر أفكارها ومبادئها ودعواتها وأهدافها بين الجزائريين، وسلاحا خطيرا تستخدمه ضد خصومها من الإدارة الاستعمارية، ولما جاء القانون في حق إصدار الصحف، سارعت نخبة من العلماء بتأثير من الشيخ "عبد الحميد ابن باديس" إلى إنشاء جريدة "المنتقد" سنة 1925، وفي السنة نفسها أسس بن

باديس جريدة "الشهاب" وفيها تم طرح حلول لمشاكل كثيرة من مشاكل العصر الذي عاش فيه ابن باديس.

وكتب فيها الكثير من الرجال المصلحين، وبعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين أصدرت قرارا لها 1933، بتخصيص جزء من جريدة "الشهاب" "تنشر فيها الفتاوى والخطب الدينية والمحاضرات، أما نشراتها الإدارية فتوضع في جميع الصحف الدورية "كالشريعة المحمدية"، "السنة النبوية"، "الصراط السوي"، لكن السلطات الفرنسية سارعت إلى منع هذه الصحف.

وفي سنة 1935 أسست الجمعية جريدة "البصائر" والتي اهتمت بشؤون الأمة العربية خاصة بشمال افريقيا، وكافحت من أجل إحياء اللغة العربية، وكانت الجمعية أيضا عن طريق الصحافة تحارب الطرق الوصفية والسلطات الاستعمارية إلا أن الادارة الفرنسية كانت توقف كل صحيفة تشك في لهجتها أو اتجاهها العام، فقد تعطلت جميع الجرائد والمجلات باسم الجمعية وباسم أعضائها، ولم تبقى في الوجود سوى صحيفة "الإصلاح " الذي أعاد اصدارها "العقبي الطيب"، وجريدة "الوفاق التي كان يصدرها الشيخ "الزاهري".(بلحاج، 2012، ص 32).

**4. أنواع صحافة التيار الإصلاحي في الجزائر:**

لم يكن المستعمر الفرنسي ينظر إلى الصحافة الجزائرية الناطقة باللغة العربية بأكثر مما كانت نظرته إلى كيان هذا الشعب، فالشعب الجزائري لم يعد في نظره شعبا له لغته وجنسيته وحضارته، بعدما أخذ منه كل شيء، بل صار في نظره مجموعة من العرب يجب إعطاؤهم لغة وجنسية فرنسية.

ولم يكن موقف الاستعمار من الصحافة الجزائرية موقف لا مبالاة، بل ذهب إلى اتخاذ موقف صريح من ذلك، وهو المطالبة بإيقاف إصدار الجرائد، وإقامة الحواجز لمنعها من التداول بين الجزائريين، لإدراكه ما للصحافة من أثر في إنهاض الشعوب

المستضعفة، وبفعل السياسة الاستعمارية التي تقوم على أسس لاإنسانية أبرزها سياسة التجهيل، حرم الجزائريون من النشاط الصحفي.

ومع مطلع القرن العشرين عرفت الجزائر تحولا تاريخيا في مسار الحركة الوطنية الجزائرية، ونضالها ضد الاحتلال الفرنسي، حيث شهد هذا التحول إعادة بعث التراث الفكري، والحضاري للأمة الجزائرية، كنتيجة لظروف سياسية واجتماعية وثقافية أدت إلى التحول، من مرحلة الكفاح المسلح الذي ساد القرن 19، إلى أسلوب البعث الحضاري والوعي الفكري.

وفي فترة ما بين الحربين استفادت الحركة الوطنية من قانون 04 فيفري 1919، الذي سمح للجزائريين بإصدار الصحف، وبموجب ذلك عرفت الجزائر نشاطا صحفيا لم تشهده من قبل، فتعددت اتجاهات الصحف، وظهرت الجرائد الحزبية والمستقلة والطرقية والإصلاحية، وعرفت تطورا في الشكل ومن ناحيتي الإخراج والأسلوب، ومن المؤكد أن الصحافة كانت وسيلة مؤثرة وظفتها الجمعيات الثقافية، الدينية والسياسية لنشر مبادئها وأهدافها وأفكارها وتوسيع قاعدتها الشعبية والمطالبة بالحقوق.

فظهرت إلى الوجود عدة صحف خاصة تلك الناطقة باللغة العربية والتي تجاوزت الخمسين صحيفة، ولعل أبرز الاتجاهات التي ظهرت في هذه الفترة بنشاطها الصحفي، الاتجاه الإصلاحي المتمثل في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبعض دعاة الإصلاح الذين أسسوا صحف إصلاحية خارج نطاق الجمعية، ومن بين الجرائد التي داع صيتها في الخطاب الإصلاحي نجد:

**أ. جريدة المنتقد:**

جريدة أسبوعية تهذيبية انتقادية، صدرت بمدينة قسنطينة في الثاني من شهر جويلية 1925، وقد ترأس تحريرها "عبد الحميد ابن باديس"، وأسند إدارتها للسيد "بوشمال محمد" وقد دلت منذ بدايتها على الإصلاحية شعارها "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل

شيء، وتعد المنتقد الجريدة العربية الأولى في الجزائر التي جمعت الأقلام الإصلاحية المتمثلة في الشباب العربي المثقف، الذي تلقى تكوينه في جامع الزيتونة والأزهر، تبنت جريدة "المنتقد " الإصلاح الديني وأولته عناية فائقة، فاتجهت بأسلوب واضح في محاربة البدع والخرافات التي كانت ترى أنها من ترويج الطرقية، كما قاومت أفكار الفرنسة والتغريب التي كان الاستعمار ينشرها في الجزائريين.

إن المتصفح لبعض أعداد هذه الجريدة يكشف من خلال مقالاتها أنها كانت تهدف إلى توعية الجزائريين وضعيتهم الفكرية والاجتماعية مقارنة بسائر الأمم، فكانت تلفت انتباههم بأنهم أمة لها قوميتها ولغتها وتاريخها، فهي أمة تتوفر فيها مقومات الأمة كاملة، فالمنتقد تعتبر تحولا مهما في تاريخ الحركة الفكرية في الجزائر، لأنها تتميز عن الصحف التي سبقتها، أسلوبا ولغة وأفكارا، إذ استطاع ابن باديس أن يضم الأقلام في الجزائر آنذاك، مثل "امبارك الميلي"، والطيب العقبي، وأبي اليقظان. (بلحاج، 2012، ص 35)

ب**. جريدة الشهاب:**

ما إن توقفت جريدة "المنتقد" عن الصدور بقرار من الإدارة الفرنسية حتى خلفتها صحيفة "الشهاب" لابن باديس، وسارت على نهج سابقتها مبدأ وأفكارا، شكلا ومضمونا، حيث صدر العدد الأول منها في عام 1925، وكانت تحمل نفس شعارات جريدة المنتقد. بدأت جريدة "**الشهاب**" كجريدة أسبوعية، ثم تحولت إلى الصدور مرتين كل أسبوع، وفي سنتها الرابعة بسبب تعرضها لأزمة مالية تحولت إلى مجلة شهرية.

وتعتبر "الشهاب" مجلة وطنية إصلاحية دعت إلى جمل الشمل والوحدة، كما دافعت عن الإسلام والعدالة والحرية، وقد كان لها تأثيرها على الجزائريين والفئات المثقفة ثقافة عربي خارج الجزائر، كما تعد من أهم المراجع التي تؤرخ للنهضة الفكرية الحديثة في الجزائر ما بين الحربين، الفضل في إحياء الثقافة العربية الأصيلة في الجزائر، وحماية الشخصية الوطنية الجزائرية من الذوبان، تحت تأثير السياسة الاستعمارية الفرنسية التي

كانت تهدف إلى إلزامية تغريب المجتمع الجزائري، وقد صدرت جريدة "الشهاب" بانتظام دون توقف من سنة 1925 إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية سنة 1939، عندها أصدر أمر من الوالي العام بتعطيل عدد شهر أوت 1939 وتوقيفها عن النشاط. (صادق بلحاج، 2012، ص 36).

**ج. جريدة البصائر:**

تعتبر "البصائر" الصحيفة الرابعة التي أصدرتها جمعية العلماء المسلمين، ومن أهم وأكبر الصحف العربية في الجزائر، شهرة وانتشار لما تركته من أثر عميق في الحياة الوطنية، تحت شعار الثالوث المقدس**:" الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا"**، ويمكن الإشارة إلى أن البصائر ظهرت على مرتين: السلسلة الأولى صدرت ما بين (1935،1939)، أما السلسة الثانية فقد ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ما بين (1947،1956).

بحيث طلع العدد الأول من البصائر في السابع والعشرين من شهر ديسمبر من عام 1935، ويظهر من خلال افتتاحية العدد الأول للبصائر، أن الجمعية عمدت اتباع أسلوب الليونة اتجاه الإدارة الفرنسية في محاولة لتمرير أهدافها الإصلاحية.

وتعتبر جريدة "البصائر" من أهم الجرائد في الجزائر في ذلك العهد من حيث الكتابة والمواضيع الهامة التي كانت تتناولها بالتحليل والتعليق، وأهميتها تعود بالدرجة الأولى إلى الطاقم المشرف عليها وعلى تحريرها زيادة على طبعها وإخراجها في شكل أنيق وجميل، وقد استمرت في الصدور من عام 1935 إلى عام 1956، حيث أوقفتها سلطات الاحتلال الفرنسي عن الصدور إبان قيام ثورة التحرير الوطنية الكبرى.

اهتمت جريدة "البصائر" بالحركة الإصلاحية في مجالي الدين والمجتمع، ولم يكن الأمر مقصورا على الجزائر وحدها، فقد فتحت صفحاتها للأقلام المغاربية، خاصة للإصلاحيين في كل من المغرب وتونس، كما امتدت انشغالات جريدة "البصائر"

الإصلاحية عبر العالم الإسلامي، وهكذا سارت "البصائر" سيرا منتظما، وبلغت من الرقي والانتشار مالم تبلغه أي جريدة عربية في الجزائر، إذ كانت تطبع حوالي أربعة آلاف نسخة أسبوعيا في ظروف صعبة.

وبداية سبتمبر 1937 أصبحت جريدة "البصائر" تصدر في مدينة قسنطينة وتطبع بالمطبعة الإسلامية الجزائرية، يشرف على إدارتها ورئاسة تحريرها "أمبارك الميلي"، واستأنفت سيرها كسابق عهدها، وما إن قامت الحرب العالمية الثانية حتى توقفت الصحيفة عن النشاط من تلقاء نفسها، وقد صدر منها 180 عددا، آخرها كان بتاريخ 25 أوت 1939، لتعود إلى الظهور في سلسلتها الثاني بعد الحرب العالمية الثانية وبالضبط في سنة 1947.

وبذلك يمكن القول أنه وبمجرد صدورها وإبرازها للوجود كجريدة رائدة انتعشت الثقافة العربية بالجزائر والفضل في إحيائها يعود بالدرجة الأولى إلى الدور الذي لعبه رائد النهضة الجزائرية الحديثة: الإمام "عبد الحميد بن باديس" وإلى نخبة من العلماء الأفاضل ورجال الدين وبعض الزوايا وغيرهم فجميعهم ناضل وجاهد جهاد الأبطال لإحياء الإسلام واللغة العربية. (محمد ناصر، 1997، ص 220)

**5. المضامين والمواضيع المتطرق إليها في الصحافة الإصلاحية الجزائرية:**

ففي مقال في جريدة "الشهاب " كتب ابن باديس تحت بند" الوطن" قائلا:" (وأعلن "الشهاب" من أول يومه، و"المنتقد "الشهيد من قبله أن " الوطن قبل كل شيء" وما كانت هذه اللفظة يومئذ تجري على لسان أحد بمعناها الطبيعي الاجتماعي لجهل أكثر الأمة بمعناها هذا وعدم الشعور به ولخوف أقلها من التصريح به.

أما اليوم فقد شعرت الأمة بذاتيتها وعرفت هذه القطعة من الأرض التي خلقها الله منها ومنحها لها وأنها هي ربتها وصاحبة الحق الشرعي والطبيعي فيها سواء اعترف لها به من اعترف أم جحده من جحد، وأصبحت كلمة (الوطن) إذا رنت في الآذان حرّكت

أوتار القلوب وهزت النفس هزا). إلى أن كتب في الاخير (... هذا عرض سريع لصوّر من الماضي والحاضر، لنواح عديدة من الامة والوطن وما يتصل بهما يبيّن ما كان من تأثير تلك الأصول الإسلامية التي تمسك بها "الشهاب" فيها. فالله نرجو أن يثبتنا على الحق ويعيننا على الصدع به، وصدق تنفيذه، وحسن تبليغه حتى يبلغ المسلمون كل خير وسعادة وكمال).

ففي عام 1925م صدرت جريدة " المنــتقد " لصاحبها الشيخ عبد الحميد ابن باديس، وكان هدف الجريدة هو تسليط الضوء على أخطار المستعمر ونشر تعاليم الإسلام الصحيحة بين الجزائريين وبث الوعي في المجتمع فصدر أول عدد منها في 03 جويلية 1925 م الموافق لــ 11 ذي الحجة سنة 1343 هــ بمدينة قسنطينة تحت شعار (الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء)، وفي افتتاحية العدد الأول أراد "ابن باديس" أن يبين أهدافه وغاياته وأراد أن يعرف دعوته للناس فكتب يقول: "باسم اللّه، ثم باسم الحق والوطن، ندخل عالم الصحافة العظيم، شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحمّلها فيه، مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون... وها نحن نعرض على العموم مبادئنا التي عقدنا العزم على السير عليها. نحن قومٌ مسلمون جزائريون، فلأننا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعو إلى كمال إنساني، ونحرص على الأخوة والسلام بين شعوب البشر.

واستطرد الإمام يقول: «إن الدين قوة عظيمة، لا يستهان بها، وإن الحكومة التي تتجاهل دين الشعب تسيء في سياسته، وتجلب عليه وعليها الأضرار» لقد صال وجال بكلماته ليضع أمام القارئ إطار فكره، ومضمون دعوته. وبدأ يخطو في ذلك خطوات هادئة ناجحة، في كل خطوة من هذه الخطوات حيطة وحذر وذكاء، حتى لا يقع في مواجهة مع المستعمر المتسلط قبل أن يسمعه الناس، ويجتمعوا حوله.

وفي العدد الثاني الصادر في 9 يوليو 1925م أكد من جديد على استقلالية الجريدة وشرح فلسفتها التي تعتمد على الوفاء للوطن والجرأة في بيان الحق "إننا لسنا لإنسان، ولا على إنسان، وإنما نخدم الحق والوطن... ونكرر القول إن "المنتقد" لا يباع ولا يشترى". وأصبحت هذه الصحيفة منبراً لتوجيه وتوعية الجزائريين وقناة لنقد الوضع الاستعماري المفروض على الجزائر وصوتاً لمناصرة القضايا الكبرى للمسلمين في فترة العشرينيات كثورة الأمير عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي ومساندة الشعب الليبي، ثم أعلن الرجل من على منبر «المنتقد» دور هذه الصحيفة قائلاً: «إننا سننتقد الحكام، والمديرين، والنواب، والقضاة، والعلماء، وكل من يتولى شأناً من أكبر كبير إلى أصغر صغير، من الفرنسيين والوطنيين، ونناهض المفسدين والمستبدين من الناس أجمعين».

وقد نشرت في عددها السادس مقالاً للشيخ مبارك الميلي تحت عنوان: «العقل الجزائري في خطر» كما نشرت في عددها الثامن قصيدة للشيخ الطيب العقبي تحت عنوان: «إلى الدين الخالص» ومثل هذه القصيدة وذلك المقال يعدان جرأة كبرى في ذلك العهد لتناولهما العادات المألوفة بالنقد والتجريح. ولكن فرنسا فطنت إلى خطورة هذه المقالات، وأصدرت قراراً بتعطيل الجريدة بعد صدور العدد الثامن عشر منها، فكان مصيرها "كالعروة الوثقى " التي أنشأها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده أوقفتها السلطات الفرنسية والبريطانية بعد صدور العدد الثامن عشر. (موسى عبد اللاوي، elhiwardz.com).

وهكذا كان لصحيفة" المنتقد" دور كبير في عرض آراء ومقترحات "عبد الحميد بن باديس"، ولكنه لم يهدأ، ولم تفتر عزيمته، وواصل طريقه من خلال الصحافة. وتعتبر الافتتاحية المشار إليها آنفا مهمة لكونها أول افتتاحية يكتبها ابن باديس بعد أن دخل عالم الصحافة، ولأنه أيضا شرح فيها مبادئه التربوية وآراءَه السياسية، كما وضح فيها منهجه في النقد الاجتماعي والسياسي بكل وضوح ودقة في السنة نفسها (أي في سنة 1925م)،

وبعد أن أوقف الاستعمار جريدة "المنتقد" أصدر الشيخ جريدة "الشهاب" وكانت في أول الأمر أسبوعية ثم تحولت في فبراير من سنة 1929 م إلى مجلة شهرية، تحتوي افتتاحية ومقالات وفتاوى وقصصا وأخبارا وطرائف وتراجم وغير ذلك ...

وكان في السنوات الأولى يكتب معظم مقالاتها بنفسه ويوزعها أيضا بنفسه إلا أن هذه المرة اتسمت الشهاب بعدم الصدام مع السلطة، بالرغم من اتسامها بالصبغة الدينية في غالب موضوعاتها، فقام بشرح التفسير والأحاديث مع ربط المسائل الدينية بالواقع الجزائري.

ومن خلال استقراء مواد مجلة "الشهاب" حدد الكتاب والباحثون أهم الأساليب الإصلاحية التي سارت عليها الجمعية، والتي كانت محصورة في محورين اثنين وهما:

- تصحيح عقائد الناس وأعمالهم على وفق ما كان عليه سلف هذه الأمة.
- الاهتمام بالتعليم.

فهاتان القضيتان كانتا أهم الملامح التي تشكّل سمة الخطاب الإسلامي في هذه المجلة الرائدة، فعلى صعيد إصلاح عقائد الناس وأعمالهم أفصح الشيخ عن المنهج الذي تبنّاه فيها فكتب قائلا: " قمنا بالدعوة إلى ما كان عليه السلف الصالح من التمسك بالقرآن الشريف والصحيح من السنة الشريفة وقد عرف القائمون بتلك الدعوة ما يلاقونه من مصاعب ...كالذيول التي ألصقها بالدين المغرضون أو أعداء الإسلام الألداء والغافلون من أبناء الإسلام ".

أما على صعيد التعليم، فقد كان يرى فيه أمضى سلاح لمقاومة المعتدي وطرده من أرض الجزائر، لذلك اهتمّ به اهتماما عظيماً وأولاه كل عنايته ووقته ومَـلَـكاته، حتى وصفه الأستاذ أنور الجندي رحمه الله بقوله: "وهو الذي ينشئ المدارس والمعاهد في طول البلاد وعرضها ثم هو الذي يمضي يومه كاملاً في حلقة الدرس يفتتح الدروس بعد صلاة الصبح حتى ساعة الزوال بعد الظهيرة، ومن بعد المغرب إلى صلاة العشاء. وإذا خرج

من المعهد ذهب رأساً إلى إدارة جريدته "الشهاب" يكتب ويراسل "البصائر" ويجيب على الرسائل فيقضي موهناً من الليل، حتى إذا نودي لصلاة الصبح كان في الصف الأول".

وكانت مجلة "الشهاب" إلى جانب هذا مهتمة بقضايا الأمة الإسلامية وبالخصوص قضية فلسطين مما جعل لها شهرة في العالم الإسلامي وشهد بفضلها كبار العلماء والمصلحين كتب الإمام "حسن البنا" في افتتاحية العدد الأول من مجلة الشهاب التي أسسها في القاهرة في نهاية الأربعينيات كلمة تقدير وجهها للإمام عبد الحميد بن باديس ومجلته الشهاب فقال: "قامت مجلة الشهاب الجزائرية التي كان يصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله في الجزائر بقسط كبير من هذا الجهاد، مستمدة من هدي القرآن الكريم وسنة النبي العظيم سيدنا محمد. وإنا لنرجو أن تقفو "الشهاب" المصرية الناشئة أثرها وتجدد شبابها، وتعيد في الناس سيرتها في خدمة دعوة القرآن وتجلية فضائل الإسلام، على أن الفضل للمتقدم وفضل السبق ليس له كفاء" وهكذا، كانت مجلة "الشهاب" في مسيرتها المباركة مشعل نور، ونبراس هداية يضيء للجزائريين الطريق ليتلمّسوا نحو الخلاص، في تلك الظلمات الحالكة والظروف العصيبة التي مرت بها الجزائر، إلا أن الشيخ بسبب هذا التأثير الإعلامي القوي والفاعل لهذه المجلة، واجه الكثير من المصاعب والعقبات التي وقفت في سبيله، حيث توقفت المجلة غداة اندلاع الحرب العالمية الثانية في شهر سبتمبر من عام 1939 م، على يد السلطات الفرنسية ، وبعد حرمان الجمعية من إصدار أية جريدة دام قرابة السنتين (من يناير سنة 1934 م إلى سبتمبر سنة 1935 م) وبعد جهود كبيرة بذلتها الجمعية لأجل الحصول على رخصة من الحكومة الفرنسية بإصدار جريدة باسم الجمعية صدرت في 27 سبتمبر 1935 م جريدة :"البـــــصائر" ولا باس من العودة إلى البصائر لتأثيرها الكبير بما أنها حال لسان الجمعية تعبر عن نهجها وتوضح أفكارها.. فقد استمرت مدة تؤدي رسالتها وتوقفت قبل الحرب العالمية الثانية، ثم استأنفت صدورها من جديد في سلسلتها الثانية ابتداء من 25 يوليو سنة 1947 م

واستمرت إلى أن توقفت ثانية في السادس من أبريل سنة 1956 م أي بعد حوالي سنتين من قيام الجهاد المسلح سنة 1954 م. (عبد اللاوي، الحوار elhiwardz.com)

وتعد البصائر من أهم الجرائد التي أصدرتها الجمعية لأنها وإن كانت صدرت لتكون لسان حال الجمعية وتدافع عن قضايا العروبة والإسلام إلا أنها كانت تناقش جميع القضايا التي تهم الأمة الجزائرية والعالمين العربي والإسلامي.

هذا الكم الهائل والمتميز من الصحف التي أصدرها علماء الجمعية قبل تأسيسها أو بعد ذلك يدل دلالة واضحة على النشاط الفكري الذي كان يمتاز به العلماء ، وعلى أهمية الصحافة في نظرهم، بل كانت عندهم من أهم وسائل التربية والتعليم التي تساهم في تصحيح عقائد الناس، ونشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة، وتبصير العقول وفي ذلك يقول ابن باديس رحمه الله تعالى: "تنشر في هذا الباب من مجلة (الشهاب) ما فيه تبصرة للعقول أو تهذيب للنفوس، من تفسير آية كريمة أو حديث شريف أو توضيح لمسألة في أصول العقائد أو أصول الأعمال، معتضدين بأنظار أئمة السلف الذين لا يُرتاب في رسوخ علمهم وكمال إيمانهم، وأئمة الخلف الذين درجوا على هديهم، في نمط وسط بين الاستقصاء والتقصير".

فكانت الصحافة بحق من أمضى الأسلحة التي حاربت بها الحركة الإصلاحية خصومها ونشرت بها أفكارها، بالرغم من التضحيات المادية الجسيمة التي يصاب بها أصحابها، وملاحقة القوانين الاستثنائية لهم، بل بالرغم من تعرضهم أحيانا للتضييق والاعتقال، لأنها كانت دائما في نظرهم كما قلنا : من أهم الوسائل في إرجاع الناس وربطهم بدينهم الصحيح، ومن أهم الوسائل في إيقاظ الهمم وتحفيز النفوس لطرد المستعمر الفرنسي، فقال أبو اليقظان في هذا السياق: " أنا لم أتتلمذ عند صحافي فآخذ عنه أسلوبه وإنما أخذت دروسا في السياسة عن الأستاذ "عبد العزيز الثعالبي" بتونس ودروسا في أساليب الكتابة بإدماني على قراءة الجرائد المصرية ولاسيما جريدة اللواء المصري

اليومية لسان حال الحزب الوطني المصري. ثم إني بعد ذلك أتبع خطواتي الصحافية بما توحي به إلى فطرتي وما تلهمني إليه غزيرتي".

**ومن أبرز القضايا التي تناولتها الصحف الاصلاحية:**

1- المسائل الدينية: محاربة البدع في الإسلام، الإصلاح الديني، التصوف، الاهتمام بالعقائد والتحذير من خطر التبشير الديني.

2- المسائل الاجتماعية: الخلق والأخلاق، التعليم، محاربة الآفات الاجتماعية،

3- المسائل السياسية: مواجهة سياسة التجنيس والإدماج، التجنيد الاجباري، التمثيل النيابي.

4- المسائل الدولية: مناصرة القضايا العربية كقضية تونس والمغرب وسوريا ولبنان ومناصرة القضية الفلسطينية. (عبد اللاوي، الحوار elhiwardz.com)

## 6. الخاتمـــة:

وفي الأخير نتوصل إلى القول بأن صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإصلاحية تمكنت من زرع بوادر اليقظة الدينية، الفكرية، الاجتماعية، السياسية وثقافة نبذ المحتل الفرنسي والدفاع عن الوطن وضرورة التخلص من السيطرة الأجنبية.

بحيث كانت الصحافة الإصلاحية في طليعة وسائل التربية والتعليم في المجتمع الجزائري فقد ساهمت في نشر الفضيلة، محاربة الرذيلة، تبصير العقول، وفضح السياسة الاستعمارية، فكانت من الأسلحة الفتاكة التي حاربت بها الحركة الإصلاحية خصومها، ونشرت بها أفكارها وتعاليمها بالرغم من التضحيات المادية الجسيمة لأصحابها وملاحقتهم، وتعرضهم للتضييق والاعتقال، إلا أنها كانت دائما تسعى إلى توجيه الشعب الجزائري، وتعمل على ربطه بدينهم الصحيح، وايقاظ الهمم وتحفيز النفوس لطرد المستعمر الفرنسي.

## 7. قائمة المراجع

أبو القاسم، سعد الله. (1986). *الحركة الوطنية الجزائرية*. ج3. ط3. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.

بلحاج، صادق. (2012). *الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الاصلاحي والتقليدي 1919-1939*. مذكرة ماجيستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي. كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران.

بوحوش، عمار. (1997). *التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962*. ط1. دار الغرب الجزائري. بيروت.

تركي، رابح. (1970) *الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900 – 1940*. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر.

الخطيب، أحمد. (1985). *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الاصلاحي في الجزائر*. د. ط. د. د. الجزائر.

الزبير، سيف الإسلام. (1985). *تاريخ الصحافة في الجزائر*. ج4. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.

عبد اللاوي، موسى. (20 سبتمبر 2020). *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين استرجعت بتاريخ* 2020/03/04 متاح على الرابط الالكتروني الحوار (www. elhiwardz.com).

كرليل، عبد القادر. *نشأة الصحافة في الجزائر*، مجلة المصادر، العدد 11. الجزائر.

ناصر، محمد. (1997). *أبو اليقظان وجهاد الكلمة*. ط1. فهرس محتويات الجرائد. الجزائر.